



Gender Studies ◆ الدراسات النسويّة

# ما بين جيلين من التعليم العالي - المسيرة الأكاديميّة لطالبات الدكتوراة الفلسطينيّات في إسرائيل



## سُكينة حريب سواعد

آذار 2022

مدى الكرمل  
المركز العربي للدراسات  
الاجتماعية التطبيقية



برنامج الدراسات النسوية

ما بين جيلين من التعليم العالي - المسيرة الأكاديمية لطالبات الدكتوراة  
الفلستينيات في إسرائيل

سكينة حريب سواعد، تُعدّ لتأييل درجة الدكتوراة (في المرحلة الأخيرة) في دراسات الجندر في جامعة  
بارإيلان.

تحرير: د. عرين هؤاري

تصميم: أمل شوفاني

مديرة النشر والانتاج: إيناس خطيب

تدقيق لغوي: حنا الحاج

العنوان: همغينيم 90 حيفا

البريد الإلكتروني: mada@mada-research.org

رقم الهاتف: 04-8552035



## مقدمة:

تُثير حالة طلبة التعليم العالي من الجيل الأول العديد من الأسئلة في مجال البحث، وقد وجدت دراسات عديدة علاقة وثيقة بين خلفيّة الوالدين الأكاديميّة وتلك الخاصّة بأبنائهم بحيث ينقل الآباء مستوى تعليمهم لأبنائهم. ظاهرة الاستنساخ بين الأجيال هي ظاهرة تنتقل بموجبها البنية الاجتماعيّة من الجيل السابق إلى الجيل التالي، مع الحفاظ على عدم المساواة. نتيجة لذلك، الأبناء الذين لم يحصل آبائهم على تعليم عالٍ تكون فرصهم في الحصول عليه ضئيلة جدًّا، إلى حدّ كبير<sup>1</sup> على الرغم من ذلك، هناك دراسات أخرى تشير إلى أنّ التعليم هو قناة مهمّة للحراك الاجتماعيّ لبعض الأفراد، إذ غالبًا يجري تقديم الأكاديميا على أنّها منصّة تمنح المجموعات الأضعف فرصة للتنقل الذي يتيح الاستقلال النسبيّ للسوق الأكاديميّ وأيديولوجيّة النجاح حسب المهارات الشخصية<sup>2</sup>.

بالنسبة للأقلّيّات على وجه العموم، والنساء على وجه الخصوص، يُعدّ التعليم العالي بمثابة رافعة للحراك الاجتماعيّ، ممّا يتيح لهنّ وضعًا مهنيًّا أفضل، وهناك ازدياد مستمرّ في عدد طلبة الأقلّيّات الذين يدرسون في مؤسسات التعليم العالي في الدول الغربيّة<sup>3</sup>. هذا الحراك ينطبق كذلك على الأقلّيّة الفلسطينيّة في الداخل الإسرائيليّ، غير أنّ تجارب الأقلّيّة الفلسطينيّة في إسرائيل تختلف عن تجارب الأقلّيّات الأخرى حول العالم في أنّ نظام التعليم العالي في إسرائيل أُسس على أساس قوميّ صهيونيّ، بغية تعزيز السرديّة المهيمنة الذي يعمل كأداة من أجل النهوض بالمجتمع اليهودي<sup>4</sup>.

اختار الفلسطينيون في إسرائيل التعليم رمزًا لهم، وذلك خلقًا للأرض التي كانت رمزًا لوجودهم القوميّ في إسرائيل<sup>5</sup>، وقد جاء ذلك بعد طردهم وتجريدهم من أراضيهم من خلال سيطرة الدولة على الأراضي، ومن خلال الممارسات الديمجرافيّة التي استخدمتها لبناء الشعب اليهوديّ على أنقاض أرض الفلسطينيين<sup>6</sup>. هذه الوقائع زادت من إدراك الفلسطينيين للخطر الذي تشكّله مكانتهم الجديدة كأقلّيّة عرقيّة. لذا فإنّ التعليم العالي بالنسبة لهم أصبح أداة للنضال السياسيّ والحراك الاجتماعيّ<sup>7</sup>. هذا الإدراك شمل كذلك النساء الفلسطينيّات اللاتي سعين للحصول على التعليم العالي لأهمّيّته الكبيرة التي لا تنحصر في كونه أداة للنضال السياسيّ، بل تتجاوزه إلى الدّور المحوّرّي الذي يقوم به (التعليم العالي) من أجل رفع مكانتهنّ، وإلى رؤيتهنّ

1. Bourdieu, Pierre. (2003). "Cultural reproduction and social reproduction". In Jarvis, Peter, & Griffin, Colin (Eds.). **Adult and continuing education: Major themes** (pp. 173-185). New York: Routledge.

2. Bourdieu, Pierre, & Passeron, Jean-Claude. (1990). **Reproduction in education, society and culture** (Vol. 4). Sage.  
Bourdieu, Pierre. (2003). Ibid.

3. David, Miriam. (2007). Equity and diversity: Towards a sociology of higher education for the twenty-first century? **British Journal of Sociology of Education**, 28(5). Pp. 675-690.

4. دفيدوفيتش، نيتسا؛ وليشم، إلبعيزر. (2012). مَهْمَة الأكاديميا في عصر ما بعد الحداثة: بحث حالة مؤسسة تعليم عالٍ إسرائيليّة في خدمة المجتمع. **قضايا مجتمعيّة في إسرائيل**، 13، ص 156-176. [بالعبريّة].

5. الحاج، ماجد. (1996). **التعليم عند العرب في إسرائيل: سيطرة وتغيير مجتمعيّ**. القدس: ماچنس. [بالعبريّة].

6. جبارين، يوسف. (2015). «سياسة التخطيط القطريّ في إسرائيل». لدى: نديم، روحانا؛ وأريج، صباغ - خوري (محرران). **الفلسطينيون في إسرائيل، مقاربات في التاريخ، السياسة والمجتمع** (ص 221-231). حيفا: مدى الكرمل - المركز العربيّ للأبحاث الاجتماعيّة التطبيقية.

7. عرار، خالد؛ ومصطفى، مهتد. (2009). «التعليم العالي والعمل عند النساء الفلسطينيّات: عوائق وبدائل». لدى: فيصل، عزايزة؛ وخولة، أبو بكر؛ رحيل، هيرتس-لازروفيتش؛ وأسعد، غانم (محررون). **النساء العربيّات في إسرائيل - تحديث ونظرة مستقبلية** (ص 231-259). تل أبيب: زموت. [بالعبريّة]

إياه فرصة للخروج من حالة التهميش الاجتماعي والجندي والعرق التي كُنَّ يعانين منها.<sup>8</sup> تفترض المرأة الفلسطينية أنّ المعرفة الأكاديمية تشكّل رأس المال الاجتماعي والثقافي بالنسبة لها، والذي يتيح لها تقديم نفسها فردًا متعلّمًا.<sup>9</sup> نتيجة لذلك، ارتفع عدد النساء الفلسطينيات الأكاديميات ارتفاعًا ملحوظًا في العقد الماضي، سواء أكان ذلك بالمقارنة في ما بينهنّ أو مقارنة بالرجال، بزيادة قدرها 68% في جميع الدرجات.<sup>10</sup> إنّ دراسات الدكتوراة ليست -في أقلّ تقدير- متأصلة في الرواية الطبقيّة والوطنية للمرأة الفلسطينية في إسرائيل، وذلك لسببين رئيسيين: الأول هو حقيقة كون الفلسطينيات على وجه العموم، والنساء الفلسطينيات على وجه الخصوص، يدخلون الأوساط الأكاديمية في محاولة للاندماج في سوق العمل وتحقيق مكانة اجتماعية واقتصادية أفضل.<sup>11</sup> الثاني أنّه نظرًا لكون الأغلبية المهيمنة في المؤسسة الأكاديمية الإسرائيلية اليهودية من الذكور والأشكناز، من الصعب الاندماج في هذه المؤسسة، حتّى لدى المجموعات اليهودية المختلفة إثنيًا.<sup>12</sup> وينتج عن ذلك أنّ الأكاديميات الفلسطينيات يندمجن في التعليم العالي بأعداد كبيرة كمستهلكات، وناذرًا ما يظهرن في مناصب أعضاء هيئة التدريس، ولا سيّما في الجامعات. لهذا تأثير سلبيّ على عمليّة إنتاجهنّ للمعرفة والبحث.<sup>13</sup> على سبيل المثال، كانت نسبة أعضاء هيئة التدريس الفلسطينيات في العام 2012 أقلّ من 3%.

لدى الأقليات في العالم، نسبة الازدياد تشير على نحو خاصّ إلى طلبة اللقبين الأول والثاني، ولكنّها تشير كذلك إلى زيادة معتدلة في عدد طلبة الدكتوراة. تاريخيًا، كانت درجة الدكتوراة والقوة المصاحبة لها غير متاحة إلاّ لعدد قليل من أصحاب الامتيازات، وخاصّة الرجال البيض. في العقود الأخيرة، جرى توسيع المناليّة لبرامج الدكتوراة في الجامعات الغربية في أوساط المجموعات المهمّشة والنساء،<sup>14</sup> ومع ذلك فإنّ الزيادة في الولايات المتّحدة -على سبيل المثال- كانت بنسبة 1% فقط، إذ ارتفعت نسبة طلبة الدكتوراة الأمريكيات من أصل أفريقيّ من 6% إلى 7%، في فترة السنوات 2006-2016 مقارنةً بجميع الحاصلين على درجة الدكتوراة. أمّا لدى الأقلية اللاتينية، فكانت الزيادة بنسبة 2% بين الطلبة اللاتينيين، إذ ارتفعت من 5% إلى 7%. وفي العام 2019، كان عدد الحاصلين على الدكتوراة من الأمريكيات الأفارقة 3,095 من أصل 55,703 من الحاصلين على الدكتوراة في الولايات المتّحدة، وكان عدد الحاصلين على الدكتوراة من اللاتينيين 4,007 في ذلك العام.<sup>15</sup> ثمة

8 أبو ربيعة- قويدر، سراب. (2008). **مستبعدات ومحبوبات: روايات النساء البدويات المتعلّمات**. القدس: ماجنس. [بالعبريّة]

هيرتس-لازروفيتش، رحيل؛ وأوبلتكا، يزهار. (2009). **الجنس والإثنية في التعليم العالي في إسرائيل**. حيفا: پرديس. [بالعبريّة]

صّباح-كركبي، مها. (2017). **تعليم الأزواج وأدوار الجندر في المجتمع الفلسطيني في إسرائيل: التغيير مقابل المحافظة** (المؤتمر القطري الثاني لبرامج الدراسات الجندرية). تل أبيب: جامعة تل أبيب. [بالعبريّة]

Kulik, Liat. (2010). Women's experiences with volunteering: A comparative analysis by stages of the life cycle. **Journal of Applied Social Psychology**, 40(2). Pp. 360-388.

9. عرار، خالد؛ ومصطفى، مهّد. مصدر سابق.

10. دائرة الإحصاء المركزيّة. (2019). **كتاب الإحصاء السنوي**. رقم 70. القدس. [بالعبريّة]

11. عرار، خالد ومصطفى، مهّد. مصدر سابق.

محاميد، مشلم. (2020). **الطلبة العرب في العلوم الاجتماعية والإنسانية والتحديثات المعرفية بين نيل شهادة تأهيل مهنيّ وإنتاج معرفة أكاديمية**. **جدل**, 36. ص 39-42.

12. ثورن، نينا. (2008). **العرق والوضع الاجتماعي والجندر في الأكاديميا**. القدس: كرم. [بالعبريّة]

13. Arar, Khalid. (2011). "Trapped between two worlds" -Muslim Palestinian women from Israel in Jordanian universities: New identity and the price it demands. **Social Identities**, 17(5). Pp. 625-642.

14. Offerman, Michael. (2011). Profile of nontraditional doctoral degree students. **New Directions for Adult and Continuing Education**, 2011(129). Pp.21-30.

15. National Science Foundation. (2018, March). **Doctorate recipients from U.S. universities: 2016**. NCSES

عوائق كثيرة تؤثر على مسيرة طلبة الدكتوراة من مجموعة الأقليات التعليمية وعلى قدرتهم على إنهاء رسالة الدكتوراة. من بين هذه العوائق: الشعور بالتمييز والعنصرية الذي يؤثر على العلاقة بين المؤسسة الأكاديمية البيضاء وطلبة الأقليات،<sup>16</sup> على العكس مما في اللقب الأول، إذ إنّ المواجهات التي تنطوي على عنصرية صارخة أو شفقة، بما في ذلك الإهانة والألقاب وما إلى ذلك، لا تزج طلبة الدكتوراة كبيدٍ إزعاج، وإنما تقليل أو تجاهل أفكارهم في السياقات الأكاديمية والمهنية هو أكثر ما يسبب لهم القلق والازعاج.<sup>17</sup> من العوائق الأخرى التي تؤثر على طلبة الدكتوراة من مجموعة الأقليات الوضع الاجتماعي والخلفية التعليمية لأولياء أمورهم؛ إذ إنّ معظمهم هم الجيل الأول من التعليم العالي في أسرهم، ووضعتهم الاجتماعي والاقتصادي أدنى من المتوسط.<sup>18</sup> علاوة على ذلك، قد تؤثر الموارد العائلية على قدرة الطلبة في الوصول إلى درجات انتقائية. في حالة الدكتوراة، لا تُعدّ الموارد العائلية ماديّة أو تعليميّة فحسب، بل هي كذلك رأس المال الاجتماعي والثقافي والذي يشمل القدرة على التفاوض بشأن التفاعلات المفيدة مع المشرفين وأعضاء هيئة التدريس التي قد تكون ذات صلة أكبر بالموضوع من الموارد الماديّة.<sup>19</sup>

بالإضافة إلى العوائق التي ذكرتها أعلاه، ثمة عوائق خاصة بالنساء من مجموعة الأقليات تميّزهنّ عن الرجال وتعيق سعيهنّ إلى نيل درجة الدكتوراة. أحد العوائق الرئيسيّة يتمثل في تحمّل النساء مسؤوليّة أكثر بكثير من الرجال في رعاية الأسرة والأطفال. تشمل العوائق الأخرى: الولادة أثناء سير البرنامج؛ الطلاق؛ رعاية الوالدين المريضين؛ صعوبة الملاءمة بين التعلّم والعمل والمسؤوليّة تجاه الأسرة.<sup>20</sup> من العوائق العامّة الأخرى الافتقار إلى التمثيل النموذجي للأقلية العرقية في الحرم الجامعي، وهو ما يسهم في المناخ البارد وغير الجذاب للطلبات من مجموعة الأقليات، ممّا يؤدي إلى زيادة التوتر العنصري والشعور بالعزلة والتسرّب.<sup>21</sup> علاوة على ذلك، وبحسب ادّعاء باحثات من مجموعة الأقليات (من بينهنّ سارة أحمد<sup>22</sup> وديورا جبريئيل<sup>23</sup>)، سياسة

16. Barker, Marco J. (2011). Racial context, currency and connections: Black doctoral student and white advisor perspectives on cross-race advising. [Innovations in Education and Teaching International](#), 48(4). Pp. 387–400.

17. Burrow, Anthony L., & Ong, Anthony D. (2010). Racial identity as a moderator of daily exposure and reactivity to racial discrimination. [Self and Identity](#), 9(4). Pp. 383–402.

Sellers, Robert L.; Copeland-Linder, Nikea; Martin, Pamela P., & Lewis, L'Heureux R. (2006). Racial identity matters: The relationship between racial discrimination and psychological functioning in African American adolescents. [Journal of Research on Adolescence](#), 16(2). Pp. 187–216.

18. Gardner, Susan. (2009). Student and faculty attributions of attrition in high and low-completing doctoral programs in the United States. [Higher Education](#), 58(1). Pp. 97–112.

19. Torche, Florencia. (2018). Intergenerational mobility at the top of the educational distribution. [Sociology of Education](#), 91(4). Pp. 266–289.

20. Offerman, Michael. Ibid.

Maher, Michelle; Ford, Martin E., & Thompson, Candace M. (2004). Degree progress of women doctoral students: Factors that constrain, facilitate, and differentiate. [Review of Higher Education](#), 27(3).

21. Ponterotto, Joseph G. (1990). Racial/ethnic minority and women administrators and faculty in higher education: A status report. [New Directions for Student Services](#), 1990(52). Pp. 61–72.

22. Ahmed, Sara. (2005, April 5). [The non-performativity of anti-racism](#). Lecture given at Center for the Study of Gender and Sexuality, New York University.

Ahmed, Sara. (2009). Embodying diversity: Problems and paradoxes for Black feminists. [Race Ethnicity and Education](#), 12(1). Pp. 41–52.

23. Gabriel, Debora. (2017). [Overcoming objectification and dehumanization in academia](#). In Gabriel, Debora, & Tate, Shirley Anne (Eds.). [Inside the ivory tower: Narratives of women of colour surviving and thriving in British academia](#) (pp.1–19). London: Trentham Books.

التنوع التي تتبعها المؤسسات الغربية غير صادقة في نواياها، ولا تسعى على نحو حقيقي إلى المساواة في تمثيل النساء السود والأقليات في الأكاديمية البيضاء. وبحسب ادعاء أحمد، النساء السود يشعرن كأنهن ضيفات في الأكاديمية البيضاء، وأنهن يشغلن مساحة شخص آخر، وبالتالي يتوقع منهن أن يشعرن بالامتنان لكونهن مندمجات، مما يضعهن تحت الضغط ويمنعهن من التحدث عن العنصرية.<sup>24</sup>

من هنا، إن لفهم العوائق التي تواجه الأقليات في المجتمعات الغربية أهمية كبيرة في فهم العوائق التي تواجه الأقلية الفلسطينية في إسرائيل، مع مراعاة الفوارق المختلفة كون الأقلية الفلسطينية تنتمي إلى شعب أصلي يعاني من الاستعمار ومن سياسات الإقصاء.

تناقش هذه الدراسة التجربة التربوية والاجتماعية والعائلية والقومية للطالبات الفلسطينيات اللواتي يدرسن لنيل درجة الدكتوراة في المؤسسات الأكاديمية الإسرائيلية، اعتماداً على روايات الطالبات وتناول محاور عدة منها: 1. المحور الشخصي الذي يشمل الخلفيات الأكاديمية، العائلية، الجغرافية والثقافية للطالبات والتي من شأنها أن تؤثر على بلورة وصقل هويتهن كباحثات. 2. المحور الأكاديمي الذي يسلط الضوء على ثقافة الهيمنة الإسرائيلية، وتأثيرها عليهن عند لقاءها مع روايتهن كنساء فلسطينيات ينتمين إلى أقلية قومية عرقية لها قيمها داخل دولة إسرائيل. 3. محور التيسير والإشراف، الذي يجمع بين المتطلبات الأكاديمية والعلاقة الشخصية المركبة مع المشرف/ة الذي/التي يرافقهن/ ترافقهن في عملية انتاج المعرفة.

## منهجية البحث

اعتمد في هذا البحث الإطار التحليلي التقاطعي الذي يشير إلى الطريقة التي تنتج بها أشكال مختلفة من الاضطهاد، مثل العنصرية والنظام الأبوي وأنظمة التمييز الأخرى، مثل عدم المساواة وأثره على الراحين تحت الاضطهاد وعلى تشكيل هوياته.<sup>25</sup> وقد اعتمدت منهجية البحث النوعي؛ إذ استند هذا البحث على مقابلات سرديّة شبه مننظمة. وقع الاختيار على هذه الأداة لأنها الأكثر مناسبة لمجال البحث وأهدافه، ولأنّ المقابلة ستؤدي إلى فهم عميق للواقع الذاتي للمرأة الفلسطينية. الغرض من المقابلات هو التعرف على نظرة المشاركات إلى العالم، لتتبع معتقداتهنّ، وأنماط حياتهنّ، وخبرتهنّ وآرائهنّ بشأن موضوع البحث.<sup>26</sup> فئات هويات المشاركات في البحث تشمل: 13 طالبة دكتوراة من الجيل الأول المتعلم، و 12 طالبة دكتوراة ينتمين إلى عائلات الجيل الثاني من التعليم العالي، شريطة أن يكون أحد الوالدين حاصلًا على درجة أكاديمية.<sup>27</sup>

## خصائص الجيلين الأول والثاني للتعليم العالي

سيتناول هذا الجزء اختيار مسار الدراسة من خلال فئتين تحليليتين: الجيل الأول والجيل الثاني للتعليم العالي في إسرائيل. في كلّ فئة من هاتين الفئتين، يمكن للمرء أن يجد خصائص متميزة أثرت على المسيرة الشخصية والأكاديمية لطالبات الدكتوراة الفلسطينيات، وبخاصة الدوافع لاختيار المسار الأكاديمي؛ إذ

24. Ahmed, Sara. (2009). Ibid.

25. Collins Hill, Patricia. (2015). Ibid.

Yuval-Davis, Nira. (2006). Ibid.

26. Kvale, Steinar. (1996). **Interviews: An introduction to qualitative research interviewing**. Sage Publication.

27. من بين المشاركات: 13 هنّ متزوجات ولديهنّ أطفال؛ 10 عزباوات؛ منفصلة واحدة ولديها طفل. 13 من المشاركات طالبات دكتوراة في العلوم الإنسانية والاجتماعية، و 11 في العلوم المخبرية.

نجد أنّ الفئة الأولى (وعدد أفرادها 13 طالبة) قد واجهت العديد من الصعوبات على طول المسار، وقد تجلّت هذه الصعوبات في تدني وضع أسرهنّ الاجتماعي والاقتصاديّ، فغالبية الأسر عانت من وضع ماليّ صعب، ولا سيّما أنّ هذه العائلات كثيرة الأفراد (5-12) مقارنة بالجيل الثاني (5-6) (يشمل الأب والأمّ). وجدت كذلك أنّ الأب هو المعيل الوحيد للأسرة والذي يعمل في أعمال تستدعي قوّة بدنيّة على الغالب، وتتطلب منه ساعات عمل طويلة يوميًا. في غالبية الأسر، كانت وظيفة الأمّهات ربّات بيوت، وقد أدّى وضع الأسرة الصعب هذا إلى دخول الطالبات إلى سوق العمل مبكرًا، وذلك ابتغاء المساعدة في إعالة الأسرة وإعالة أنفسهنّ. لقد اقتصرت أعمالهنّ على مجالات بأجور متدنيّة، نحو: الزراعة؛ بيع الملابس... ما يميّز هذه الفئة أيضًا، بحسب روايات النساء، أنّ غالبية الأشقاء تحوّلوا إلى سوق العمل ولم يكملوا دراستهم بهدف المساعدة في إعالة الأسرة، وابتغاء بناء مستقبل خاصّ بهم. إحدى الصعوبات التي نجدها قد تكرّرت كثيرًا في روايات هذه الفئة هي عدم الاستقرار الأسريّ الناتج عن الوضع الاقتصاديّ والاجتماعيّ المتدنّي، وهو ما تمثّل في عدّة أمور، منها: مرض أحد الوالدين أو كليهما؛ انفصال أحد الوالدين عن العائلة؛ موت أحد الوالدين مبكرًا. كلّ هذه العوامل المتعلقة بالأسر أثّرت على تشكيل هويّة الطالبات وعلى تحديد مسارهنّ الأكاديمي، بدءًا من الثانويّة حتّى الدكتوراة؛ فقد عانت هذه الفئة على نحوٍ خاصّ من نقص في التوجيه المهنيّ من جانب أسرهنّ في الأساس، وامتدّ ذلك إلى مرحلة المدرسة الثانويّة. من المؤكّد أنّ لهذه البداية تأثيرًا كبيرًا على المراحل التالية التي تنضاف إليها عوائق أخرى كثيرة، نحو: الاندماج في الحيّز الأكاديميّ الإسرائيليّ؛ اختيار موضوع الدراسة للقبّ الأوّل واللقب الثاني؛ التأخّر في الالتحاق ببرامج الدكتوراة الذي من شأنه تقليص احتمالات الاندماج في الأكاديميا لاحقًا ككادر مهنيّ، وثمة عوائق أخرى سأنتظرّق إليها في ما بعد.

روايات طالبات الدكتوراة من الجيل الثاني للتعليم العالي (وعددهنّ 12 طالبة) تضع لنا صورة أكثر تفاهلاً من شريحة الجيل الأوّل، حيث تُطلّعننا الروايات على دور الأهل في هذه الفئة في تمهيد الطريق أمامهنّ للتعليم العالي. فقد ذاق هؤلاء الأهل (وهم الجيل الأوّل للتعليم العالي) على جلودهم الصعوبات الجمة التي يعاني منها الجيل الأوّل، وكانوا قد كوّنوا الجيل الأوّل من الطبقة الوسطى. لقد سمح الوضع الاقتصاديّ الجيد لهذه الشريحة بتمويل الرسوم الدراسيّة لأبنائهم، ممّا سهّل عليهم دخول سوق العمل مبكرين إلّا إذا رغبوا بذلك. لم يقتصر التمهيد على الناحية الماديّة فحسب، وإنّما شمل كذلك العمل التربويّ؛ فقد دفع هؤلاء الأهل أولادهم إلى التعليم العالي وهبّأوا لهم أرضيّة خصبة من أجل هذا، وذلك من خلال دعمهم ومرافقتهم من ناحية تعليميّة في المراحل الأولى من حياتهم، وجعل حقيقة التعليم العالي أمرًا بديهياً ومفروغاً منه. من الخصائص الأخرى التي طرّحت في روايات الطالبات اللواتي ينتمين إلى هذه الفئة تهيئّة البنية الأساسيّة الداعمة للتعليم العالي، من خلال النمذجة المستمّدة من تعليم الإخوة الذي شكّل داعماً إضافياً هاماً لهم. في الجيل الأوّل، ينحصر دور الأشقاء في قلّة النمذجة (النموذج الذي يحتذى به) في الأسرة، كما يتّضح من روايات طالبات الدكتوراة، ممّا يتسبّب في فقدان الأشقاء الدافع للدراسة والتوجّه إلى سوق العمل، كبديل لتخليص أنفسهم من وضع أسرهم الاجتماعيّ والاقتصاديّ المتدنّي، وبهذا يصبحون من المسهمين في إعالة الأسرة، ويُمكّنهم ذلك من بناء حياة عائليّة جديدة خاصّة بهم. تُشير روايات من قبلتهنّ من الجيل الأوّل إلى قصّة مختلفة للأشقاء، وفي كثير من الأحيان نرى أنّ طالبة الدكتوراة تأخذ بهذا الدور (النمذجة) ويصبحن الداعمات الرئيسيّات لإخوتهنّ، حيث يقمن بدفعهنّ إلى التعليم حتّى يتمكّنوا من تغيير مصيرهم. تُعرض روايات طالبات الدكتوراة من الجيل الثاني صورة مختلفة بشأن تعليم الإخوة، حيث إنّّه لم تظهر معضلة الدراسة أو مشكلة الدوافع والقدرات الأكاديميّة، بل على العكس من ذلك؛ نجدها تبرز قصّة نجاح أكاديميّ بين معظم الأشقاء، ممّا يشير إلى اختلاف آخر بين طالبات الدكتوراة من الجيل الأوّل للتعليم العالي والجيل الثاني. فقد مهّد الأهل الطريق للجيل الثاني كي يتلقّى معظم الأبناء في أسر الجيل الثاني التعليم العالي، وهم

بدورهم -كأشقاء داعمين لبعضهم البعض، بالنسبة لطلبة الجيل الأول- يُعتبرون مُمهّدي الطريق الأكاديمية للأعضاء الآخرين في العائلة.<sup>28</sup>

للأمّ في روايات الطالبات من الجيلين أهمية كبيرة في دعم مسارهنّ الأكاديمي. في بعض الروايات في الجيل الأول، تنبع رغبة الأمّ في حصول بناتها على التعليم العالي من عدّة أسباب، أولها اعتبار هذا التعليم وسيلة تعويض لتحقيق حلم الأمّ بالتعلّم الذي لم يتحقّق. السبب الثاني يكمن في استخدام عبارة «تعليم المرأة هو سلاحها»، أي الذي يمكنها من ضمان مكانة اجتماعية واقتصادية أفضل في المجتمع، بالإضافة إلى أنّ التعليم العالي يضمن لها إمكانيّات زواج أفضل، كما أنّه يضمن لها الاستقلال الاقتصاديّ الذي يُعتبر عجلة إنقاذ للمشاكل التي قد تُحدث في المستقبل (علم الغيب). دور الأمّ في كلتا الفئتين يتلخّص في تقديم الدعم العاطفيّ والمعنويّ للطالبات.

كذلك إنّ للأب في روايات طالبات الدكتوراة دورًا في دفع الأبناء والبنات إلى التعليم العالي، لكن هذا الصوت لا يبدو واضحًا أو قويًّا على نحوٍ خاصٍ في فئة الجيل الأول للتعليم العالي، وخاصّة عندما يتعلّق الأمر بتعليم الفتيات، ولكنّه يأخذ منحىً مختلفًا عندما يتعلّق الأمر بتعليم الأولاد الذكور، حيث تظهر في كثير من الروايات فاعليّة الأب في اتّخاذ موقفًا واضحًا وصريحًا من قرارات الأبناء بشأن التعليم. على سبيل المثال، في إحدى الروايات تقول المشاركة إنّ الأب يدعم ابنه مادّيًّا في تعليمه، وعندما يقدر ابنه ترك التعليم والتوجّه إلى سوق العمل يغضب ويقاطعه. أمّا في ما يتعلّق ببناته، فهو لا يمانع في تعليمهنّ، ولكنّه لا يسهم في تغطية التكاليف. في ما يخصّ فئة الجيل الثاني، تُظهر الروايات أنّ الأب داعم مادّيًّا ومعنويًّا للتعليم العالي وأحيانًا يتدخّل في اختيار المسار الملائم لابنته، وذلك بتفضيل موضوع على آخر، إمّا بسبب التصنيف المهنيّ المنخفض لبعض المهن أو المردود المادّيّ المنخفض مقارنةً بالاستثمار في موضوع كعلم النفس والقانون، على سبيل المثال، وإمّا بسبب تصنيف على خلقية جندرية لمهن تُصنّف على أنّها أنثوية أو ذكورية. على سبيل المثال، في إحدى الروايات رفض الأب اختيار ابنته موضوع الهندسة المدنيّة بحجّة مُفادها: «ما عتّا بنات تنزل عالصّبة».<sup>29</sup>

نجد في روايات الطالبات تأثيرًا للبيئة المجتمعية كذلك على اختيار المسار الأكاديمي، حيث تقوم هذه البيئة بإرسال رسائل مزدوجة لبناتها. فهي من جهة تشجّع على تعليم الفتيات، ومن جهة أخرى تفرض عليهنّ الالتزام بالمعايير الاجتماعية المقبولة (كالزواج المبكر -على سبيل المثال). ذاك يضعهنّ في حالة من التوتر والضغط الذي يؤدّي في أحيان كثيرة إلى اتّخاذ قرارات خاطئة وغير مخطّط لها ومن شأنها أن تؤثّر على مستقبلهنّ بعامة، ولا سيّما مستقبلهنّ الأكاديمي. لهذه الرسائل صدى أقوى في روايات طالبات الدكتوراة من الجيل الأول للتعليم العالي، ولا سيّما في القضايا الأساسيّة (كالزواج والأمومة -على سبيل المثال). في سياق الجيل الثاني، يبدو أنّ الأعراف الاجتماعية والرسائل البيئية بشأن موضوع الزواج ذات تأثير ضئيل على طالبات الدكتوراة، حيث تُظهر الروايات أنّ دعم الأسرة، والرسالة الواضحة بشأن أهمية التعليم العالي، تُسهمان في تحقيقهنّ لطموحاتهنّ وتُسهّل تجربتهنّ التعليمية، ولكنّ هذه الأعراف سرعان ما تعود لتظهر في مراحل متقدّمة من مسيرتهنّ الأكاديمية، كالخوف من عدم الزواج أو عدم الإنجاب.

تظهر الروايات في كلتا الفئتين من الجيل الأول والجيل الثاني للتعليم العالي أنّهما عانتا على حدّ سواء من نقص في التوجيه المهنيّ في اختيار مسار ومجال الدراسة المناسب لتطلّعاتهنّ من الآباء، وكذلك من المدارس

28. O'Shea, Sarah; May, Josaphine; Delahunty, Janine, & Stone, Cathy. (2017). **First-in-family students, university experience and family life: Motivations, transitions and participation.** London, United Kingdom: Palgrave Macmillan.

King, Sharron; Luzeckyj, Ann; McCann, Ben, & Graham, Charmaine. (2015). **Exploring the experience of being first in family at university.** National Centre for Student Equity in Higher Education.

29. المقصود صّبّ الباطون خلال إنشاء المباني.



الثانوية. فقد تحدثت الفئتان عن تجارب متشابهة في مواجهة الفضاء الأكاديمي الإسرائيلي، وخاصة الشعور بالاعتراق الثقافي والصعوبات اللغوية والتي صعبت اندماجهن في الحياة الأكاديمية. للمدرسة الثانوية دور رئيسي في تمهيد الطريق للطلبة وإعدادهم للحياة الأكاديمية، من خلال التوجيه المهني الذي يساعدهم في اختيار مجال الدراسة والمؤسسة الأكاديمية الأكثر مناسبة لهم. لقرار اختيار مجال الدراسة الأكاديمية أهمية كبيرة؛ فهو قرار قد يؤثر على الحياة بأكملها - وبضمنها استمرارية الطالبات في الدراسات العليا.

تسلط روايات طالبات الدكتوراة اللواتي قابلتهن الضوء على هذه الفترة من حياتهن، وتطرح رؤى تسهم في فهم أهمية دور المدرسة الثانوية كبوصلة موجّهة للمسار الأكاديمي للطلبة الفلسطينيتين على وجه العموم، وللطالبات اللواتي اخترن متابعة دراستهن الأكاديمية على وجه الخصوص. تشير معظم روايات الطالبات إلى تجربة إيجابية في ما يتعلق بالتجربة الاجتماعية والتعليمية في المدرسة الثانوية. أفادت الروايات أن معظم طالبات الدكتوراة اخترن تخصصات النخبة في المدارس الثانوية، التي تتمحور على نحو أساسي في المواضيع العلمية، نحو: الفيزياء؛ الرياضيات؛ الكيمياء؛ الإلكترونيات. أضف إلى ذلك توافر جو تعليمي إيجابي وداعم وإنجازات تعليمية عالية وعلاقات مهمة وجيدة مع معلمهن وزملائهن في الفصل عززت شعورهن بالثقة بالنفس، وقد وصفت الكثيرات منهن هذه الفترة بأنها دفيئة حاضنة أو فقاعة. لكن، مع نهاية هذه المرحلة وبداية المسار الأكاديمي في الجامعات الإسرائيلية سرعان ما تنفجر هذه الفقاعة في وجوههن، ويدركن أن هذه الدفيئة لم تجهزن بما فيه الكفاية للمرحلة الجديدة المليئة بالمفاجآت والعثرات. من خلال روايات هؤلاء الطالبات، نلمس أنهن عاتين من نقص في التوجيه المهني المناسب لاحتياجاتهن، ونتيجة لذلك كثير منهن يتجهن إلى مسار غير ملائم، وهو ما يجبرهن على تغيير هذا المسار في السنة الثانية أو الثالثة من اللقب الأول، وفي أحيان كثيرة بعد الحصول على اللقب. لهذا التغيير تبعات اقتصادية واجتماعية ونفسية على الطالبات وعائلاتهن. على الرغم من أن معظم المدارس الثانوية اليوم تُدير برامج للتوجيه المهني، فإن روايات طالبات الدكتوراة تصف حالات نقص المعرفة بالمهنيين الذين يمكن التوجه إليهم باستفسارات عن البرامج والمسارات المختلفة، كما أنها تشير إلى مشاعر الارتباك والبلبل وعدم فهم المتطلبات المختلفة للأوساط الأكاديمية في هذه المرحلة من حياتهن.

كذلك تبين من المقابلات أن هناك فجوة في الانتقال من المدرسة الثانوية إلى الجامعة، ويبدو أن دور المدرسة الثانوية ينتهي عند تخرج الطلبة منها، وليس لها دور في مرافقة الطلبة بعد ذلك حتى يجري استيعابهم في الأكاديميا. من شأن هذه المرافقة أن تعمل وسيطاً في مرحلة الانتقال، وأن تسهل التجربة الصعبة التي جرى تداولها في الكثير من الأبحاث عن طلبة اللقب الأول، والتي ظهرت في روايات الطالبات حيث وصفن التجربة بأنها فقاعة تنفجر في الوجه (أو «كان أول كَف» - على حدّ تعبير إحدى الطالبات). مرحلة الانتقال من المدرسة الثانوية إلى الأكاديمية تختلف من طالب إلى آخر، وذلك حسب خلفيته العائلية والاجتماعية والاقتصادية، ولذا فإن وجود شخصية تربوية مألوفة ترافق الطلبة في هذه المرحلة الانتقالية قد يسهم في معالجة المعضلات التي تواجه الطلبة والمتعلقة بالأوساط الأكاديمية.

من المؤكد أن ثمة برامج جديدة نشأت لتسهم في منالية وتسهيل دخول الطلبة العرب إلى الأكاديميا الإسرائيلية (نحو: «رواد للتعليم العالي»؛ «مسار» - وغيرها)، ولذا من المهم بحث كيفية إسهام هذه البرامج في جسور الهوة بين هاتين المرحلتين. غالبية من في الشريحة اللواتي شاركن في البحث لم تكن هذه البرامج في منالتهن، ولكن هناك بعض الروايات خاصة للطالبات الأصغر سناً واللواتي لمسن خدمة التوجيه المهني في المدارس الثانوية، على نحو ما نجد في ما روتته «رندة» (اسم مستعار) التي أدلت بأنها إبّان المدرسة الثانوية، من خلال برنامج التوجيه المهني، زارت إحدى الكليات الخاصة المشهورة بتخصص في موضوع معين كان

مُهَمًّا بالنسبة لها. هذه الزيارة كانت مُهمّة جدًّا وأعطتها توجيهًا لما قد يناسبها، إلا أنها فشلت في النهاية في الالتحاق بالدراسة في هذه المؤسسة، بسبب عوائق أخرى أهمُّها العاملُ الاقتصاديّ. هذه الحالة تشير إلى نجاح جزئيٍّ لهذه الزيارات، حيث إنّه من الضروريّ التحقُّق ممّا إذا كانت هذه الزيارات تلبي احتياجات شتّى الطلبة. في حالة «رندة»، كانت ثمة ملاءمة بين الكليّة وطموحها هي، ولكنّها كانت زيارة وحيدة؛ فماذا عن سائر الطلبة؟ فضلًا عن ذلك، تشير الروايات إلى وجود شرح بين الحيّز العائليّ للطالبات والمدرسة الثانويّة، وظهر هذا الشرح واضحًا خاصّة في روايات فئة الجيل الأوّل من التعليم العالي، حيث عانت كثيرات من بينهنّ من صعوبات ومشاكل شخصيّة وعائليّة وضائقة مادّيّة ونفسيّة في هذه المرحلة، لكن المدرسة الثانويّة كانت معيّبة عن هذا الجانب، ولم يكن لها أيّ دور في التخفيف من عبء هذه الأثقال عن الطالبات.

في الختام، إنّ فهم التقاطعات المختلفة التي تتشكّل في حياة طالبات الدكتوراة الفلسطينيات يسهم في فهم علاقات القوّة وعدم المساواة الناتجة عن هذه التقاطعات. تقاطع يتطلّب من هؤلاء النساء قدرة تكبُّف متعدّدة الأبعاد بغية التغلّب عليه. في سبيل ذلك، تقوم الطالبات باستثمار الطاقات والموارد المختلفة والوقت من أجل العمل على تذليل العوائق التي تواجههنّ، وهو ما يؤديّ بهنّ في بعض الأحيان إلى إضاعة البوصلة في منتصف الطريق، والتشتّت الفكريّ حول تراثيّة الأهداف الحيّاتيّة، ممّا يجعل إنجاز رسالة الدكتوراة في أسفل السلّم، وهذا من شأنه أن يزيد من الشعور بالقلق والتوتّر وأحيانًا الشعور بالاكْتئاب.

## خاتمة

من خلال هذا المقال القصير، حاولت أن أبيّن الفروق بين العوائق التي تواجهها طالبات الدكتوراة من فئتيّ الجيل الأوّل والجيل الثاني في نقطة زمنيّة محدّدة في ما قبل البدء بالمسار الأكاديمي، وذلك بغية فهم نقطة الانطلاقة وتأثيرها على المسار. في ما يخصّ فئة الجيل الأوّل، أظهرت النتائج أنّ العوائق تكمن في الصعوبات الاقتصاديّة، وعدم الاستقرار، والمشاكل الأسريّة، وعدم وجود نماذج لخريجي التعليم العالميّ يحتذى بها داخل الأسرة، والرسائل المجتمعيّة المزدوجة بصدد قضايا تعليم الفتيات والمسائل المتعلّقة بالنساء (كالزواج -على سبيل المثال). وأمّا طالبات الدكتوراة من الجيل الثاني، فإنّ نقطة الانطلاق إلى مساراتهنّ الأكاديميّة، مقارنةً بالمجموعة الأولى، أكثر تقدّمًا بفضل والديهنّ الذين مهّدوا الطريق لهنّ، وقد أسهم هذا التمهيد في اندماجهنّ وتذليل بعض العوائق (كالعبء الاقتصاديّ -على سبيل المثال). على الرغم من ذلك، لا زلن يواجهن تحديات عديدة، كاستمرار وجود التوقّعات الأبويّة الجندريّة -على سبيل المثال- التي تؤثر على اختيار مجال الدراسة، وبالتالي تؤثر على المسار إلى الدكتوراة. إلى ذلك أضف العوائق المشتركة للفتيتين، كالنقص في التوجيه المهنيّ وعوائق أخرى لم أتطرّق إليها في هذا المقال يواجهنها في المراحل المختلفة (نحو: اللقب الأوّل؛ اللقب الثاني؛ اللقب الثالث). هذه العوائق المستمدّة من تقاطع موقعهنّ التاريخيّ والجندريّ والوطنيّ كنساء من الأقلّيّة الفلسطينيّة.

**مدى الكرمل**  
المركز العربي للدراسات  
الاجتماعية التطبيقية

